التطور التاريخي لظاهرة الترف عند السلطة الاسلامية منذ صدر الأسلام حتى سقوط الدولة العباسية (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

المدرس علي خضير عبد العباس الحدراوي
جامعة الكوفة – كلية الاداب
alikh.alhadrawi@uokufa.edu.iq

The historical development of Luxury phenomenon at Islamic since the Islam's Scripture authority until the fall of the Abbasid Caliphate (656AH -1258 AD)

Tutor : Ali Khudayer Abdulabbas Alhadrawi
University of Kufa - Faculty of Arts

الملخّص :

يعد هذا البحث دراسة اكاديمية لتتبع التطور التاريخي لظاهرة الترف عند السلطة الاسلامية منذ صدر الاسلام حتى نهاية العصر العباسي على اعتباره الهدف الرئيسي للدراسة وذلك لبيان مراحل نشوئها وابعادها التأريخية ولماذا خالف المترفون سنة نبيهم (ﷺ) وفتنوا بالترف ومظاهره فكان لسلوكهم هذا اهمية بالغة لها انعكاساً سلبياًعلى سياسة الدولة الاسلامية واقتصادها.

فقد قدم البحث صورة تاريخية عن ملامح الترف انطلاقاً من الاسلام المبكر وعصر صدر الاسلام مروراً بالدولة الاموية وانتهاءً بالعصر العباسي في محاولة للوقوف على تعريفه واسبابه وبيان موقف الشريعة الاسلامية منه وكذلك تحديد موجباته ومعرفة مصادر تموين ترف السلطة وتميزه عن الاسراف والتبذير وقد تتبع البحث سلوكيات المترفين من الخلفاء وقدم شواهد تاريخية على جوانب منها وصل الى غاية المبالغة في الترف ومظاهره كترف المواكب والطعام والشراب وحفلات الغناء ومجالس الطرب واقتناء الخدم والجواري التي بلغت ارقاماً اسطورية ويبين البحث ما لمظاهر الترف من تأثير على حياة عامة المسلمين وقد اوجز البحث مجموعة من الاستنتاجات التي توصل اليها .

الكلمات المفتاحية : مظاهر الترف، الترف ،البذخ، السلطة الاسلامية ،التبذير ،الابهة ، اسباب الترف ،مصادر الترف

Abstract:

This research is an academic study to trace the historical development of the phenomenon of luxury at Islamic authority since the Islams Scripture until the fall of the Abbasid Caliphate (656 AH- 1258AD) , considering it the main objective of the study and to show the stages of its emergence and historical dimensions and why the luxury peple violiated the sunnah of their prophet and fascinated by of leisure and its manifestaions , so their behavior was of great importance it has a negative impact on the politics and economy of the Islamic state.

The research presented a historical picture of the feachers of luxury starting from early Islam passing through the Umayyad state and ending with Abbasid era in an attempt and its causes and to clarify the position of Islamic law towards .it as well as identifying its obligations and knowing the sources of supplying the luxury of power and distinguishing it from extravagauce and wast researcg the behaviors of the affluent of the caliphs and presented historical evidence on aspects of it that reached the extreme of exaggeration in luxury and its manifestations such as the luxury of processions,food and drink, singing parties, rap gathering ,and the acquisition of servants and maidservants, which amounted to legendawy numbers. The research is a set of counlusions that it reached.

Key words: Luxury , extravagance ,Islamic authority , wasteful and pageantry , sourec of luxury , cause of Luxury

المقدمة

كانت ظاهرة الترف واحدة من ابرز سمات تاريخ العرب قبل الاسلام ، لا سيما في مكه كان متعارفا عليه في تلك الفترة عند سكانها من اثريائها الذين اشتهروا بالترف والابهة . وبمجئ الاسلام لم يبق الحال كما هو عليه فكان الترف ومظاهره من جملة ما رفضته الشريعة الاسلامية وكان دين الاسلام يدع الى الوسطية والاعتدال في حياة الفرد والمجتمع وذلك امتثالاً لقوله تعالى " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ... " وهذا ما فسر ما امتازت به حياة الرسول الكريم (ﷺ) من بساطة في جميع نواحي الحياة ، فلم يكن مهتما او مغاليا في ملبسه ولا مأكله او مسكنه بل كان في كل هذا كسائر المسلمين وكذلك هو الحال بالنسبة للخلفاء الراشدين بأستثناء الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٢٢-٣٥هـ) الذي اهتم بالترف ومظاهره وخالف الرسول (ﷺ) والشيخين ابي بكر وعمر وهذا ماستهجة الامام علي (عليه السلام) (ت ٤٠هـ) على عثمان وكان يقول له ما كان عند عمر من هذا الترف والبذخ فكان يجيب لا احد يطيق ما يطيقه عمر . وكان عليا (عليه السلام) معروفا بزهده وابتعاده عن مفاتن الدنيا فكان يقول ياصفراء ويا حمراء غري غيري وكان لايملك من الثياب سوى ثوب واحد اذا غسله بقي ينتظره الى ان يجف ليرتديه ويخرج به . وعلى ما يبدو ان السلطة الاسلامية في تلك الفترة – ما خلا حكم عثمان – كانت بعيدة عن الترف ومظاهره التي تجلت قصور ومواكب خلفاء وطعام وشراب وحفلات طرب وضياع سلطانية ، اما في زمن خلفاء بني امية (٤١- ١٣٢هـ) فان الحال تغير فاصبح الترف اهم سمة من سمات حكمهم ويتضح ذلك في المغالات في المواكب والمجالس والملابس والطيب واقتناء الجواهر والضياع وغيرها ويبدو ان ذلك كان نتيجة تحولهم الى ملوك على حد تعبير ابن خلدون مما جعلهم يأخذون بكل شارات الملوك والسلاطين اسوة بغيرهم من العجم، ومن دواعي ترفهم التوسع في الفتوحات الاسلامية . مما وفر اموالا طائلة لبيت المال وظفوها لكل ما يترفهم ويلهيهم ويستجيب لرغباتهم الخاصة

ناهيك عن فتح الباب امام الرعية لانتهاج مسلكهم . وكان من نتائج الفتح اختلاط العرب مع غيرهم من سائر الشعوب كالبيزنطيين والفرس فتأثروا بما عندهم من مظاهر الترف والابهة .

وعندما آلت السلطة الاسلامية الى العباسيين اولعوا بالترف وغالوا بمظاهره للحد الذي يدفعنا للقول اذا كانت قصة الف ليلة وليلة من نسج الخيال والتي تضمنت قصصاً ومغامرات عاطفية عديدة عن ترف خلفاء بني العباس لاسيما الرشيد فأن ترف الخلفاء العباسيين وبذخهم وتبذيرهم للاموال واسرافهم على القصور والجواري والغلمان والشراب والطعام والحفلات وما كان يحدث في القصور العباسية كان واقعاً لايمت للخيال بصلة ، ففي هذه الفترة التي تعرف بالفترة الذهبية من التاريخ العباسيين. تحكموا في بيت مال المسلمين واخضعوه الى اهواءهم واثقلوه بالانفاق على ترفهم وراحتهم فاصبح الخلفاء والامراء والحاشية والقادة يمثلون طبقة مترفة على حساب طبقة المستضعفين والمحرومين من عامة الناس . ولهذا اعتمدت الدراسة تتبع التطور التاريخي لظاهرة الترف عند السلطة الاسلامية منذ صدر الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) بغية تسليط الضوء علئ الابعاد التاريخية لهذه الظاهرة التي كلفت الامة الاسلامية نصيباًكبيراً جداً من وارداتها وزادت من معاناة المستضعفين بل عدت احد اهم الاسباب التي اسهمت في سقوط الدولة العباسية .

الترف لغة واصطلاحاً

الترف لغة هو التنعم ، والمترف من كان منعم البدن مدللاً والمترف هو الذي ابطرته النعمة وسعة العيش . والمترف هو المتوسع في ملاذ الدنيا ويقال: اترف الرجل : أي اعطاه شهواته[١] ذهب الفراهيدي بأن الترف تنعيم الغذاء وهو نعيم الغذاء والمترف هو الموسع عليه القليل في همه[٢] وبهذا الصدد قال الله تعالى :" ما اترفوا فيه "[٣] أي ما انعموا فيه من الثروة والعيش الهانئ والشهوات الدنيوية ، وأصل الترف التوسع في النعمة وعن الفراء أترف عود الترفة وهي النعمة وقيل (اترفوا) أي (طغوا) [٤]واعتبر الشيخ الطبرسي المترف هو من امتنع عن اداء الواجبات طلبا للترفة وهي الرفاهية والنعمة[٥].

اما الترف اصطلاحا /

للترف أصطلاحاً تعريفات عديدة ، فمنها من اشار انه شعور داخلي يدفع للترفه بوسائل شتى قد يكون المحرم جزءا مهماً في استجلاب فكرته[٦] وهناك من أكد انه التنعم بأستهلاك وفير من الكماليات ، على اختلاف اصنافها او اقتنائها وقيل هو رغبة في اشباع رغبات النفس او فوق ضرورتها وحاجاتها العادية والترف هو قرين الثراء لا العكس[٧].

وعرف ايضا انه التوسع الزائد في الانفاق على النفس والاسراف في الاستغراق في اللذات والشهوات [٨].

وعبر عنه انه مجاوزة حد الاعتدال بالنعمة ، والاكثار من النعم الجالبة للرفاهية ، فالمترفون هم الذين ابطرتهم سعة العيش وافسدتهم النعمة[٩] .

وهنالك معان اخرى ارتبطت بالترف ومظاهره وادواته كالبذخ، والكبر، وهو من مظاهر الترف والبغي أي التكبر في الارض وما يتبعه من العلو والفساد[١٠] فيقال بذخ بالكسر أي تكبر وعلا شرف، وباذخ أي عال [١١].

وكذلك ارتبط الاسراف بالترف فيعرف على انه تجاوز الحد في الانفاق على الحاجة بل عد اسرافا يتداخل معه التبذير الذي يقصد به الصرف في غير الوجه الصحيح ،وهناك فرق بين التبذير والاسراف فالتبذير افساد للمال وانفاقه في السرف وقيل التبذير ان ينفق المال في المعاص، اما الاسراف فهو مجاوزة الحدفي أكل أكل ما لايحل اكله، وكل ما انفق في طاعة الله ، واسرف افرط وتجاوز الحد [١٢].

موقف الشريعة الاسلامية من مظاهر الترف

الاسلام يرفض الترف ومظاهره نظرا لما له من آثار سلبية على الفرد والمجتمع ولهذا فقد ذم الاسلام الترف واعتبره ضربا من الاجرام كما في قوله تعالى :" فلولا كان من القرون من قبلكم ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين [١٣]" واكد ذلك في قوله تعالى :" وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها[١٤]"وأشار الشنقيطي ان المراد بمجرميها الاكابر هم اهل الترف والنعمة في الدنيا[١٥] وكذلك فان الشريعة الاسلامية جعلت الترف قرين الفسق فالهلاك نتيجته والدمار عاقبته ، وهو ما جاء في قوله تعالى " واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا[١٦] " .

ويعزز ذلك قوله تعالى : " وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون "[١٧] وقوله تعالى " انهم كانوا قبل ذلك مترفين" [١٨] أي كانوا متنعمين . وبهذا الصدد يروى عن ابن عباس ان عذاب المترف اشد الما لان الترف الهاهم عن الانجازات وشغلهم عن الاعتبارات وكانوا تاركين للواجبات طلبا لراحة ابدانهم مستشهداً[١٩] بقوله تعالى : " وكانوا يصرون على الحنث العظيم "[٢٠] أي الذنب العظيم . وقوله تعالى : " واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه "[٢١] أي ما تجبروا وتكبروا عن امر الله وصدو عن الحق .

وعلى الرغم من ذلك فان الاسلام لم يمنع التمتع بالنعمة ولكنه قيد هذا الامر بشروط اهمها عدم المبالغة والافراط في التنعم التي تصل الى حد الترف والاسراف واتلاف المال في غير محله اذ قال تعالى : " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا "[٢٢] وقول تعالى " والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما"[٢٣] وقوله تعالى : " ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين "[٢٤] كما نهى الله تعالى عن التبذير بقوله "﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ " [٢٥].

واكد الشيرازي في تفسيره ان الناس يسلكون غالبا طريق الاسراف ويتعمدون الترف بمختلف الحجج ولهذا ركز القران الكريم على تحذير المسلمين من الترف والاسراف في اكثر من عشرين موضعا في اشارة لهذا الامر والذم فيه ومنها قوله تعالى :" وكلوا واشربوا ولا تسرفوا "[٢٦] وهذا هو منهج القران المعتدل فلا جمود فيه يقمع الرغبات المودعة في الروح الانسانية الى الجمال ، ولا هو يؤيد مسلك المتطرفين وذوي البطنة في التمتع بالزينة والجمال ، بل هو ينهى عن التزين والتجميل المعتدل في المجتمعات التي يكثر فيها المحرومين والمساكين كما نهى الرسول (ﷺ) عن المبالغة في الترف ومنها ترف الطعام فقال : " المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء ، واعط كل بدن ماعودته " وبالاية انفة الذكر وهذا الحديث اجابه هارون الرشيد طبيبه النصراني عندما قال له :" ليس في كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان وعندما سمع الطبيب جواب الرشيد ، قال : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً "[٢٧] وكان

رسول الله (ﷺ) ينهى عن العبث بالمال العام ويحث على المحافظة عليه فروي عنه انه قال : " ان رجالاً يتفوضون في مال الله بغير حق ، فلهم النار يوم القيامة "[٢٨].

وعن عبد الله بن عباس عن النبي (ص) في تعليقه على قوله تعالى" ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض "[٢٩] انه قال لو وسع الله الرزق على عباده على حسب ما يطلبون لزادوا في ظلمهم بعضهم بعضا فان الغنى مبطرة وكفى بمال قارون عبرة[٣٠] . وكان رسول الله (ﷺ) يقول " اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها "[٣١] فكان الدين الاسلامي يحرم مظاهر الترف وما يذهب اليه المترفون من استخدام اواني الذهب والفضة فقد حرمت الشريعة ذلك كما حرم تحلية المصحف بالذهب او تذهيب حياطين الدور واعتبرت ذلك غلوا في الترف واسرافاً في تضييع الاموال[٣٢] .

وما كان موقف الشريعة الاسلامية من الترف ومظاهره والاسراف والتبذير الا لدواع اصلاحية للحد من كل مظاهر الفساد المالي ومكافحة الفقر وتنمية الاقتصاد الاسلامي الذي لاسبيل لتحققه مع اخذ السلطة بمظاهر الترف . لذا الزمت الشريعة الاسلامية، ولاة المسلمين بانفاق اموال الدولة على الصالح العام وذلك بتنمية الزراعة وانشاء المشاريع التجارية والاقتصادية التي من شأنها ان تخدم الامة الاسلامية وتمد بيت مال المسلمين بوافر من الايرادات ولم يكن الالتزام بهذه الثوابت بمستوى واحد عند جميع من تولى امر المسلمين فقد خرق بعضهم هذا الالزام سيما خلفاء دولة بني امية وبني العباس بعدما انغمسوا في الترف وملذات الدنيا وبتعدوا عن الحق وخالفوا ثوابت الشريعة الاسلامية ومتطلباتها[٣٣].

وكان لأئمة اهل البيت (عليهم السلام) موقفهم من الترف والاسراف والتبذير. فيروى عن الامام علي (ع) انه قال : " ما انفقت على نفسك واهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت به . فهو لك وما انفقت رياء وسمعة ، فذلك حظ الشياطين "[٣٤] وكان الامام علي (عليه السلام) كثير الذم للترف لان مظاهره كانت على النقيض من منهج الامام الزاهد في حياته وهذا مابدى جليا في كلامه لمعاوية بن ابي سفيان اذ قال (عليه السلام) : " فأنك مترف قد اخذ الشيطان منك مأخذ ، فجرى منك مجرى الدم في العرق ، ولست من ولاة هذه الامة ولا من رعاتها "[٣٥] وقال امير المؤمنين (عليه السلام) : " ان الله فرض على أئمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس ، كيلا يتبيغ بالفقير فقره "[٣٦]. وفي النص

اشاره واضحة الى ارادة الله تعالى على الحاكم ان يستأنس بالفقراء من الناس وبحياتهم وان يشيع ذلك النمط من المعيشة بين ابناء المجتمع كي لا يأخذ الفقر سبيله الى حياة المسلم المعدم وينال من ايمانه وصبره.

وكان للأمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) (ت ١١٤هـ) توجيهاتية في محاربة مظاهر الترف فقال :"من علامات المؤمن ثلاث حسن التدبير في المعيشة ، والصبر على النائبة ، والتفقه بالدين " واضاف في موضع آخر " لاخير في رجل لايقتصد في معيشته مايصلح لدنياه ولاخرته"[٣٧]،فيما جعل مغنية موقف الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري(ت ٣١هـ) في معارضة سياسة عثمان المالية انموذجاً في سبيل مبدأ الاسلام ومحاربة البؤس والشقاء فيقول " حارب ابو ذر قيام الترف والنعيم الى جانب البؤس والشقاء فنادى بأعلى صوته : لايحل لانسان ان يتمتع بثروة لايحصيها العد والحساب وجاره جائع يعجز عن القوت ، ومريض لايستطيع التطبيب ، وجاهل لايجد السبيل الى التعلم"[٣٨].

ان المتتبع لظاهرة الترف في الاسلام سيجد ان لها تجليات واصداء في سير الخلفاء المسلمين وولاتهم التي اخذت مأخذها عند السلطة الاسلامية ومنها على سبيل المثال لا الحصر في الافراط في الطعام والشراب والمبالغة في الانفاق على الملابس وانتقاء من الثياب اجودها وبناء القصور الفارهة والمنازل العظيمة واقتناء الضياع الواسعة والمغالات في الكماليات من الفرش والاثاث والمبالغة في اقتناء الخدم والجواري والتفنن في الاستمتاع بجلسات الغناء والطرب واقامة الحفلات غاية في الاسراف في مناسباتهم الخاصة بل وصلت لمستويات غاية في الترف بتجهيزاتها المذهلة .

ولعل ابن خلدون استطرد في استعراض كثير من مظاهر الترف والابهة والبذخ عند ما تكلم عن شارات السلطان وان كثيرا منها لم تكن محض اهتمام السلطة الاسلامية في عهودها الاولى ولكن بات من اولوياتها عندما تحولت الخلافة الى ملك على حد تعبير ابن خلدون- لاسيما في عصر بني امية وعصر بني العباس- فقال " واما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول الملة متجافين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفضا لاحواله واحتقارا لابهته التي ليست من الحق في شئ حتى اذا انقلبت الخلافة ملكاً وتبجحوا بزهوة الدنيا ونعيمها ولابسهم الموالي من الفرس والروم اهل الدول السالفة وأروهم ما كان اولئك ينتحلون من مذاهب البذخ والترف "[٣٩].علماً ان مظاهر الترف

بكل شيء في عصري الامويين والعباسيين رافقها استخفاف باموال الناس وعدم الالتفات لهم فعاشوا في ظل حكمهم حياة ملئها الظلم والفقر

موجبات الترف واسبابه عند السلطة الاسلامية

اذا ما طبقنا نظرية ابن خلدون على حياة الدولة واطوارها سيعطينا وصفا مختصراً ومطابقا للتطور التاريخي لمظاهر الترف عند السلطة الاسلامية وبأسبابها وموجباتها . فمن المتعارف عليه ان ملامح الترف قد بدت في عهد الخليفة عثمان وهذا ما ينطبق عليه قول ابن خلدون ان في الطور الثاني يعمد صاحب الدولة الى اصطناع الرجال وجمع الموالي وهذا ما عمد اليه عثمان عندما اخذ باسناد المناصب الى اهله والاسراف في الانفاق عليهم . ويذهب ابن خلدون الى اعتبار الطور الثالث طور تخليد الاثار وتشييد المباني والتوسع في الجاه والمال وهذا ما يطابق افعال بني امية في الانغماس في الترف والجاه والمال . ويجعل الطور الرابع تقليدا لما سبقه ويأتي الخامس ليكون طور التبذير على حد قوله والامعان في الترف فيقول ابن خلدون ان صاحب الدولة في هذا الطور يكون متلفا لما جمعه الاولون في سبيل الشهوات والملذات والانفاق على مجالسه ولعل هذا ما فعله بني العباس في حقيقة امره اذ بالغوا في ترفهم واسرافهم [٤٠].

كما يذهب ابن خلدون الى اعتبار الترف من مقتضيات الملك واحد اهم سماته اذ يقول :" ان طبيعة الملك تقتضي الترف ... فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم واعطياتهم ولايفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك يستغرق عطاءه بترفه"[٤١].

كما يجعل ابن خلدون التحول من البداوة الى التحضر من اسباب الترف فيقول " ان البدو هم المقتصرون على الضروري في احوالهم العاجزون عما فوقه وان الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم "[٤٢] ولعل هذا احد اهم الاسباب التي ادت الى انتشار هذه الظاهرة في الدولة الاسلامية نظرا لان العرب قد رافق قيام دولتهم تحولهم من البداوة الى التحضر سيما ما وفرت لهم حركة الفتوحات من اطلاع على معالم التحضر .

ويذهب الفضيلي لاعتبار الترف والطغيان وبطر العيش من لوازم الغنى واحد نتائجه وبالتالي فهن من موجبات الهلاك [٤٣]. كما ان من اسباب جنوح السلطة الى الترف واللهو هو ابتعاد بعض الخلفاء عن القيم الدينية الحقة التي تستند الى القرآن

الكريم والسنة النبوية فهذا الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان عندما تسنم الخلافة وكان بيده مصحف فأطبقه قائلا " هذا فراق بيني وبينك ! " واما ابنه الوليد فقد قام بتمزيق المصحف . فأن طول الامل ونسيان الموت والابتعاد عن الروحانية الدينية ادت ببعض الخلفاء للاغراق بالترف فيقول الامام علي(عليه السلام) " ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فأنه يصد عن الحق واما طول الامل فينسي عن الاخرة " (٤٤).

واما العاملي فيعتبر الترف عبارة عن حالة نفسية عند بعض الاغنياء فيصاب صاحبها بالنقنقة في ملبسة ومأكله ومشربه فلا يعجبه العجب فيميل للمبالغة في كل شئ (٤٥).

مصادر تموين ترف السلطة الاسلامية

انطلق العرب من الجزيرة العربية فاتحين ومحررين لاراضي الشام والعراق وكانت لحركة الفتح هذه اثراً في زيادة واردات بيت مال المسلمين وبقدوم تلك الاموال توسعت الحركة العمرانية في بناء منازل الجنود والاداريين(٤٦) وبدء الاستقرار تدريجيا في البلدان المحررة ولم يكن العرب يتطبعوا او يألفوا تلك الحياة من قبل سيما وان سكن اغلبهم كان الخيام واكلهم التمر ولحوم الابل فما كان القرن الاول يلفظ انفاسه الاخيرة حتى اصبح العرب الفاتحون هم الزعماء الجدد لعدد كبير من المجتمعات والقوميات المختلفة الاعراق والاديان وسرعان ما دب التغير في حياتهم من البساطة في السكن والاكل والمعيشة فبدأوا ينحون طرق واساليب حياة جديدة ومختلفة عما سبق متأثرين بمجتمعات البلدان المفتوحة (٤٧).

فيذكر ان سلاطين المسلمون بدأوا يقصدون الترف من الطعام بطلبهم فمنهم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يكتب الى عامله على فارس يأمره بان يرسل اليه عسل خلار وهو افضل انواع العسل في فارس فكان يخاطبه قائلا " ابعث الي من عسل خلار من النحل الابكار من الدستفشار الذي لم تمسه النار"(٤٨) وهذا ما يدل على ترفهم وسعة عيشهم اذ اخذوا يطلبون الكماليات من الطعام بعد ان توافر الضروري منه . المهم بالامر ان الفتوحات قد اسهمت بشكل كبير بملئ بيت مال المسلمين بالاموال والذهب والفضة وهذا مانتلمسه من قول احد الفاتحين لعمر بن الخطاب يصف حال

المسلمون اذ قال " انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون بالذهب والفضة فرغب الناس بالبصرة " (٤٩).

وبذلك فان تعافي بيت المال وامتلاءه بالاموال دلالة على غنى الدولة وسبق وان اشرنا ان الترف ما هو الا نتيجة حتمية للغنى ، وهذا ما حصل فعلا في الدولة الاسلامية ولكنه لم يحصل عند راسخي العقيدة من قادة المسلمون الذين كان شغلهم الشاغل هو نشر الاسلام وترسيخ العقيدة والعمل فيما يخدم مصلحة الامة الاسلامية اما ضعاف النفوس فقد فتنتهم الدنيا فأنكبوا على ترفها واستنزفوا بيت مال المسلمين لهذا الشأن فامعنوا في الاسراف والتبذير على حساب حرمان المجتمع . وفي هذا الميدان روي عن ام بكر بنت المسور قالت لما بنى مروان داره في المدينة دعا الناس الى طعامه وكان المسور ممن دعاه ، فقال مروان يحدثهم : " والله ما انفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه فقال المسور: لو اكلت طعامك وسكت كان خيرا لك ، لقد غزوت معنا افريقيا وانك لاقلنا مالا ورفيقا واعوانا ، واحفضنا ثقلا فاعطاك ابن عمك – عثمان – خمس افريقية ، وعملت على الصدقات فأخذت اموال المسلمين "(٥٠) .

ومن مصادر ترف السلطة الاسلامية أستأثار السلطة بأموال الخراج والاراضي بحيث امتلأت خزائنهم بالذهب والفضة حتى ان الاموال كانت تقيم بالوزن لا بالعد وخاصته في عهد بني العباس . فالى جانب الخراج فانهم امتلكوا موارد ضخمة تاتيهم من الاراضي الزراعية المعروفة بالاراضي السلطانية اضافة الى استيلاءهم على اراضي واسعة عن طريق نظام الالجاء ولمصادرة الذي عملت به السلطة العباسية(٥١) .

مظاهر الترف في عصر النبوة والعصر الراشدي

ظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، في مجتمع عرف عنه بساطة الحياة وعدم تعقيدها وكان ذلك نتيجة حتمية للظروف الطبيعية الصعبة التي كانوا يعيشونها، فقد اثر الجفاف بوضوح في حياة العرب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وسائر النواحي وحالة قلة الامطار عائقا امام قيام مجتمعات كبرى مستقرة(٥٢) . ومع هذه الصفات المناخية القاسية كان من الطبيعي ان ينتشر القحط وتسود الحياة الشاقة ، ولكن حياة العسر هذه لم تكن سائدة في عموم الجزيرة العربية ، فقد عرفت مكة بيسر حالها وترف

اهلها وابهتهم فكانت لها مكانة مرموقة في شبه الجزيرة العربية كونها تشكل مظهرا من مظاهر الثراء والتميز وهذا ما عبر عنه الشاعر عروة بن الورد فقال :

المـــــال فيـــــه مهابـــــة وتجليـــــة والفقـــر فيـــه مذلـــة وخضـــوع(٥٣)

وليس من شأننا في هذا الموضع الحديث عن اسباب ثراء اهل مكة لعدم صلة بالموضوع بمقدار ماهي اشارة الى ان ذلك الثراء كان نتيجة لمكانتها الدينية فالحج الى مكة مظهرا دينيا يرافقه موردا ماليا كبيرا لاهل مكة فيعد من مصادر رزقهم وثروتهم المباشرة(٥٤). والى جانب ذلك كانت التجارة المصدر الثاني في ثراء اهل مكة ويبدو ذلك واضحا من قوله تعالى " لايلاف قريش ❖ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ❖ فاليعبدوا رب هذا البيت ❖ الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "(٥٥) .

ونتيجة لثراء اهل مكة ظهر الترف بشكل واسع والاكثر من هذا ظهرت طبقة من المترفين يأتي على رأسهم عبد الله بن جدعان الذي يلقب بـ(حاسي الذهب) لانه كان معتاد على الاكل بالاواني الذهبية والى جنبه حكيم بن حزام وسعيد بن العاص والوليد بن المغيرة وعبد الله بن ابي ربيعة وابو سفيان(٥٦).وقد مارس هؤلاء المترفون كل اوجه الترف المتوافرة في عصرهم من البيوت الفاخرة واقتناء العبيد والخدم واقامة الحفلات ومجالس الطرب وارتداء الملابس الفاخرة من البرود اليمانية واستخدامهم اجمل الطيوب من المسك والكافور اضافة الى اهتمامهم باللهو واللعب والتسلية (٥٧).

وعندما ظهر الاسلام اختلف الحال فقد جاء الاسلام واضعا محددات شرعية في تحريم كل مظاهر الترف ويدعوا الى الاعتدال والاتزان فما يشار اليه ان الرسول (ﷺ) اسس المجتمع الاسلامي الجديد كانموذج في البساطة والاقتصاد في حياتهم على ما هو ضروري ونهى عن انفاق الاموال او الجهد على الكماليات . وهذا ما يبدوا في حياة المسلمون الاولون ايام الدعوة الاسلامية فكان حسب الواحد منهم لقيمات يقمن صلبه(٥٨).

كان المسلمون شديدوا الحرص على الاخذ بتوجيهات الرسول (ﷺ) فيحذون حذو قائدهم في بساطة حياته ويطبقون كلامه فكان بيت الرسول (ﷺ) نموذج لتواضع القائد اذ بني بأيدي المسلمون وقائدهم بما تيسر من المواد من اللبن والجريد والخشب والحجارة

وخير دليل على عدم اهتمام الرسول (ﷺ) بالترف هي ارجوزة المسلمون وهم يبنون البيت فكانت ((لا عيش الا عيش الاخرة اللهم ارحم الانصار والمهاجرة)) [٥٩] فان هذا يشير ان اهداف الرسول (ﷺ) كانت اهداف سامية يسعى من وراءها الى تقوية الاسلام وتعظيمه وليس للتمتع بثمار السلطة من ترف واسراف وحب الدنيا . فان زواج الرسول (ﷺ) من السيدة عائشة لم يكن في قصور فارهة بل بذات البيت البسيط وكان غذاءهم يوم العرس جفنة من الطعام وقدحا من اللبن تشارك الرسول (ﷺ) وزوجه بها وكان فراشهما من ادم محشوة بالليف وتحته حصير .

وبهذا المنهج من البساطة والتواضع ادار الرسول الكريم (ﷺ) الدولة الاسلامية مبتعدا عن كل مظاهر الترف واذا استثنيا الخليفة الثالث عثمان بن عفان فان الخلفاء الراشدين قد ساروا على ذات المنهج الذي عاشه الرسول (ﷺ) مبتعدين عن الترف ومظاهره فيذكر ان الخليفة الاول ابو بكر الصديق كان زاهدا في عيشه متقشفا في حياته فعرف بتواضعه في ملبسة ومأكله وكان تواضعه مثار انتباه كل من قدم عليه من الملوك تشبه الناس به وذهبوا مذهبه في التواضع فهذا الاشعث بن قيس ملك كنده الذي لبس تاج الملوك ما كان منه الا ان حذى حذوا ابي بكر بعد دخوله في الاسلام .وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مشهورا بتواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه فكان عماله وسائر من يحضر عنده يتشبهون به . فكان يلبس الصوف ويتشمل بالعباءة ومما يذكر في اقتصاد عمر بن الخطاب في نفقاته انه اصبح ذات مرة فقال لابنه عبد الله كم انفقنا في حجتنا ؟ فقال ستة عشر دينارا ، فقال : لقد اسرفنا في المال [٦٠].

وكان عمر بن الخطاب شديدا في مواقفه ضد الترف وملاحقة المترفين من عماله ومحاسبتهم فيروى انه عندما سمع بترف عامله ابي موسى الاشعري كتب اليه " وقد بلغني انه نشأ لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فأياك يا عبد الله ان تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب ، فلم يكن لها هم الا التسمن وانما حتفها في السمن ، واعلم ان العامل اذا زاغ زاغت الرعية واشقى الناس من شقيت رعيته " [٦١].

واذا قلنا ان مظاهر الترف قد بدأت معالمها بشكل واضح على عهد الخليفة عثمان بن عفان لانكون مجافين للحقيقة بهذا القول . فيصف لنا اليعقوبي ترف عثمان وبذخه

على بناء داره في المدينة الذي انفق عليه مالا كثيرا وشيدها بالحجارة وجعل على ابوابه مصاريع الساج كما يذكر انه كان له اموالا وإبلا وخيلا كثيرا فكان له من المال يوم مات في خزانته مائة الف وخمسون الف دينار والف الف درهم وله الكثير من الضياع منها بئر أريس وخير ووادي القرى . وفي ايامه ظهرت سمات الترف عند المسلمون فبدأوا يتخذون الدور فبنى الزبير بن العوام داره المشهورة في البصرة وبنى له اخرى في الكوفة ومثلها في مصر والاسكندرية وكانت ثروته تقدر بخمسين الف دينار وترك الف فرس والف مملوك وممن عرف بثراءه وترفه عهد عثمان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وزيد بن ثابت الذي كانت ثروته ذهبا وفضة ما يكسر بالفؤوس الى جنب ما يملكه من الاموال والضياع والعيون ما قيمته مائة الف وخمسون الف[٦٢] .

ويروي الطبري عن عبيد الله بن عامر انه قال :" كنت افطر مع عثمان في شهر رمضان فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر وقد رأيت على مائدة عثمان الدرمك الجيد وصغار الضأن كل ليلة وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولا ولا أكل من الغنم الا مسانها فقلت لعثمان في ذلك فقال يرحم الله عمر ومن يطيق ما كان عمر يطيقه "[٦٣].

ومما تقدم نلحظ ان الخليفة عثمان كان ميالا الى الترف والبذخ ولم يعن ببساطة العيش والزهد ، كما فعل رسول الله (ﷺ) بل فتن بالدنيا وتلمس ترفها فأتخذ القصور واصطفى لنفسه ما شاء من بيت المال واحاط نفسه بالثراء الفاحش ولم يكتفي بذلك فقد بالغ في الاعطيات والهبات لاهل بيته اضافة الى اقطاعهم الاراضي واسناد المناصب على حساب عامة المسلمين [٦٤].ومنها انه زوج ابنته الى مروان بل الحكم وامر له بخمس فئ افريقيا وكذلك فعل مع زوج ابنه الثانية عبد الله بن خالد الذي امر له بستمائة الف درهم من بيت مال البصرة [٦٥]. وكان يقول " ان عمر كان يمنع اهله واقرباءه ابتغاء وجه الله ، واني اعطي اهلي واقربائي ابتغاء وجه الله " وبذلك فقد خلق عثمان طبقة ارستقراطية اشاعت الترف والبذخ وتهالكت على اللذة والمجون[٦٦] .

وكان الامام علي (عليه السلام)نموذج للتواضع والزهد فيقول اليعقوبي " انه لم يلبس ثوبا جديدا ، ولم يتخذ ضيعة ، ولم يعقد على مال "[٦٧]. وان تقشفه يبدوا واضحا في رواية زواجه من فاطمة (عليها السلام) بنت النبي (ﷺ) حيث ان منافقاً لام امير المؤمنين (عليه السلام) في

خطبته لفاطمة (عليها السلام) ، وقال له ياعلي : انت معدن الفضل والادب ولو سئلت من اشجع العرب لما عدوتك ثم تخطب امرأة لاتملك عشاء ليلتها ، ولو انك خطبت ابنتي لجهزتك بالابل قطارا من بيتي الى بيتك فقال (عليه السلام) ان هذا بمشيئة الله وارادته والحكم لله العلي الكبير . اما نحن فلا طمع لنا في مال ولا نظر الى دنيا سوى رضا الله وفخرنا بالاعمال لا بالاموال ولا نقيم وزنا للدينار والدرهم [٦٨].

وكان امير المؤمنين يقول : " ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس ، كيلا يتبيغ بالفقير فقره "[٦٩] فكان الامام ميالا الى الزهد في عيشه وهذا ما يبدوا من قوله " وان امامكم قد اكتفى بدنياه بطمرية – الثوب الخرق البالي – ومن طعمه بقرصية "[٧٠] ان رؤية الامام علي (عليه السلام) لمرافقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجنة تنطلق من ترك الملذات في الدنيا والابتعاد عن شهواتها تشبها برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما دفعه لينصح عمر بن الخطاب قائلا " ان اردت ان تلحق بصاحبيك فأرفع القميص ونكس الازار واخصف نعلك وكل دون الشبع"[٧١] وهذا اختصار لمنهج التواضع والزهد وعلى النقيض من الترف ومظاهره .

مظاهر الترف في الدولة الأموية

كان الخليفة عثمان بن عفان يقول " لو كان بيدي مفاتيح الجنة لاعطيتها بني أمية "[٧٢] وقد اتخذ معاوية بن ابي سفيان(٤١-٦٠هـ) السياسة ذاتها التي جعلت النخبة الحجازية من قريش وغيرها يغرق في الترف واللهو[٧٣].وبذلك فقد سارت الدولة الاموية في ايام حكمها على نفس سياسة عثمان في استسراف بيت المال فجعلوه سلاحا ضد اعدائهم ونعيما مباحا لانصارهم[٧٤]. فقد جدو في اشاعة الفساد والترويج لروح الترف واللهو بين الناس بهدف تبرير اعمالهم المخالفة للشريعة فأشيع الفحشاء والمنكر والفجور والخمور وكل مظاهر الترف . حتى جعلوا مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبة مركزا لفسادهم فكان الغناء فيها لاينكره عالمهم ولايدفعه عابدهم وكانت يثرب تعج بالمغنيات[٧٥] وكانت اولى معالم الترف ومفاتن الحياة وبهارج السلطان ما اقدم عليه معاوية من اتخاذ السرير او ما يعرف بأريكة السلطان وهو موضع لجلوس السلطان عادة ما يكون مرتفع عن اهل مجلسه ويقول ابن خلدون ان اول من اتخذه في الاسلام معاوية بن ابي سفيان مقلدا ملوك العجم الذين استفحل عندهم الترف فاتخذوا اسرة من

الذهب ويشير ابن خلدون ان معاوية استأذن الناس وقال لهم اني قد بدنت فأذنوا فأتبعه واتبعه في ذلك سائر ملوك الاسلام فيما بعد [٧٦].

انتهج معاوية سياسة الملوك مبتعدا عن الشريعة فقد عمد الى توظيف بيت مال المسلمين لاغراضه السياسية فهو يقول " ... البذل يقوم مقام العدل " [٧٧].ولهذا كان بذولا للاموال فيذكر انه عندما زار المدينة فرق اموالا عظيمة [٧٨]. وان عبد الرحمن بن ابي بكر كان من بين الرافضين لتلك الاموال اذ بعث له معاوية بمئة الف درهم فردها وقال " ابيع ديني بدنياي "[٧٩] كما عرف عنه بذل الاموال للشعراء بسخاء ومنهم الشاعر عبد الرحمن بن سيحان المحاربي[٨٠]. فكان حريصا على الظهور بمظهر الملك البذول فيذكر الجاحظ " ان معاوية قعد للناس ووضع الموائد وبدر الدراهم والدنانير للجوائز والصلاة فجاء رجل فقعد على كيس فيه دنانير فصاح به الخادم تنح ، فليس هذا بموضع لك فقال معاوية دعوا الرجل يقعد حيث انتهى به المجلس ، فاخذ كيسا وقام فقال الخادم يامير المؤمنين انه قد نقص من المال كيس دنانير ، فقال انا صاحبه وهو محسوب لك [٨١].وان حبه للترف وبذل الاموال كان واضحا فيما انفقه على بناء قصوره ومنها قصره المعروف بالخضراء الذي يوصف بانه غاية في الابهة والكمال فقد زين جدرانه بالفسيفساء واعمدته بالرخام والذهب ورصع سقوفه بالذهب والجواهر كما زينه بالنافورات والمياه الجارية والحدائق الرنانة[٨٢] وكان محبا للطرب مستلذا بالغناء فأعجب ذات ليلة عندما سمع الغناء عند يزيد فلما اصبح قال له من كان ملهيك البارحة؟ فقال يزيد ذاك سائب خاثر فقال : فأخثر له من عطائك [٨٣].

وعلى هذه الشاكلة كان ولده يزيد بن معاوية (٦٠ – ٦٤ هـ) فقد سار على نهج ابيه في الاغراق في الترف واللهو وبذل الاموال لاجل ذلك فيذكر انه كان كثير البذل للشعراء ، والمغنين في مجالس اللهو والمجون[٨٤] هذا ويعد يزيد بن معاوية اول من سن الملاهي في الاسلام من الخلفاء واوى المغنين وامعن في شرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده[٨٥].

وبالغ عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦ هـ) كثيرا في اسراف الاموال وتبذيرها على الشعراء ومنهم الاخطل[٨٦] كما ان ترفه باديا في كتابه الى عمر بن محمد صاحب البلقاء خاطباً الشقيراء بنت شيب بن عوانه الطائية فأبلغوا رسوله بقولهم " فانا قد زوجناه على

صداق نساءنا وقدري ما هو مائة من الابل وما يتبعها من الثياب والخدم ، فكتب الى عبد الملك بن مروان فأرسل اليه بمائة من الابل وعشرة الالف درهم وما يتبع ذلك من الطيب والخدم والاثاث فجهزها ثم حملها الى عبد الملك[٨٧].وكذلك هو الحال بلنسبة للوليد بن يزيد (٨٦ – ٩٦ هـ) الذي كان يستأنس بقدوم الشعراء عليه وروي ان الفرزدق والاخطل وجرير والبعيث وفدوا على الوليد فدخل عليه الثلاثة الاوائل ما عدا البعيث فأنشده هؤلاء فاعطى كل ممنهم الف درهم ولما دخل البعيث خاطب الوليد معاتبا " وفدنا عليك جميعا فأدخلت هؤلاء وتركتني فأمره الوليد بانشاد شعره وامر له بجائزة وفضله عليهم واعطاه الفي درهم[٨٨] وكان من الترف على اشده فيروى في حادثة زواجه من ام الحكم ابنة عبد العزيز التي اشتهرت بجمالها انه امر لها باربعين الف دينار[٨٩]. فكان عرسه غاية في الترف واقام احتفالا كبيرا القيت فيه الاشعار ومنها شعر جرير فأمر له بعشرة الاف درهم[٩٠] وقضى لاهله ومواليه يومها مئة حاجة كما امر للجميع ممن حضر الحفل من حرس وكتاب بعشرة دنانير وهذا ان دل على شئ انما يدل على ترف الحاكم واستخفافه بحقوق المسلمين الذين وظف اموالهم للامور الشخصية ومنها المناسبات الخاصة دون وجه حق شررعي .

وكان الوليد بن يزيد(١٢٥ – ١٢٦ هـ) على نهج اسلافه في حب الطرب والغناء فكان يبعث الى المدينة فيحمل اليه المغنون منها[٩١]. ليحيي حفلاته ويعمرها بالانس والرقص[٩٢].

والى جانب كل هذا من مظاهر الترف كان الخلفاء الامويين مولعين بتربية واقتناء الحيوانات المميزة كواحدة من مظاهر ترفهم فيذكر الزمخشري " كان اشقر مروان يشبه به ، اشتراه مروان بن محمد (١٢٧– ١٣٢هـ) بثلثمائة الف درهم وصار الى السفاح بعده وهرم وتحطم ، فكان لكرامته عليهم يحمل في محفة عاج وينقل من مرج الى مرج "[٩٣].

مظاهر الترف عند خلفاء بني العباس

ان المتتبع لظاهرة الترف سيجد انها قد بلغت اوجها في عهد الدولة العباسية فقد مال الخلفاء العباسيون الى الترف حد الاشباع واسرفوا اسرافا مفرطا على مظاهر الملك والسلطان ، اذ انفقوا اموالا كثيرة هم واهليهم وحاشيتهم على ملذاتهم وشهواتهم ولياليهم الحمراء فقد كان للمغنون والعابثون والماجنون سهما من هذه الاموال ومن

المؤسف ان تلك الاموال الهائلة لم تنفق على تطوير حياة المسلمون وانعاش الفقراء والمحرومين وانما وظفت لخدمة ترف السلطة ولهوها فيروى ان المأمون(١٩٨-٢١٨هـ) كان في دمشق فأصابته ضائقة فحملت اليه ثلاثون مليون درهم من مال الخراج فأمر بأنفاق اربعة وعشرون مليون درهم على اصحابه والباقي انفقه على جنده وهكذا كان التبذير بأموال المسلمون ظاهرة عامة عند الخلفاء العباسيين لسد ترفهم وملذاتهم [٩٤]. واما مظاهر الترف التي انفق العباسيون اموال المسلمون فيها فهي كثيرة وسنعمد الى تأشيرها تباعا مع استعراض لبعض الشواهد التاريخية وهي كما يلي :

١ – مجالس الطرب وحفلات الغناء

اشار ابن خلدون ان الموسيقى والغناء من شارات الملك والسلطان فهي من جانب من مظاهر الترف والابهة والبذخ ومن الجانب الاخر فأن قرع الطبول كانت من ادوات الحرب فسماع النغم والصوت يثير الفرح والطرب فيصيب الروح نشوة مما يدفعها لاستسهال الصعاب ويستميتوا في الحرب سيما اذ كانت الاصوات متناسقة كما في الغناء[٩٥] .

وكان الخلفاء العباسيين مولعين بالغناء فيذكر ان الخليفة الهادي (١٦٩ – ١٧٠هـ) كان محبا للغناء فقرب ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق الموصلي وبالغ في اعطياته اليهم فقد اعطى ابراهيم مرة خمسة الاف دينار لانه غناه ثلاثة ابيات اطربته ويروى عن اسحق الموصلي انه قال " والله لو عاش لنا الهادي لبنينا حيطان دورنا ذهب[٩٦] .

وكان هارون الرشيد(١٧٠- ١٩٣هـ) يدعوا المغنين والموسيقيين ويغدق عليهم الاموال ويشجعهم على الارتقاء بهذا الفن الذي تهفو اليه الروح وتطيب له النفوس ، فعرف عن الرشيد حبه لسماع الاغاني ، وكان يأمر بوضع ستار بينه وبين المغنين تحاشيا من صدور حركة منه عند النشوة لاتليق به كخليفة . وانقسم اصحاب الغناء في عهده الى مددرستين الاولى يترأسها ابراهيم الموصلي ومن بعده ابنه اسحاق وترمي للمحافظة على التراث القديم في الغناء وابقاءه على ما هو عليه والمحافظة على قواعده والمدرسة الحديثة ويترأسها ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد ، الذي كان قد نبغ في الغناء وتهدف مدرسته الى التجديد وادخال تطور على النغم الاصيل[٩٧].

وكان المتوكل العباسي(٢٣٢-٢٤٧هـ) ممن بالغ في حفلات الغناء والطرب فقد جلب عددا كبيرا من المغنين في حفلة ختان ولده المعتز وكان من اشهرهم عمر بن بانه واحمد بن ابي العلاء وابن الحفصي وابن المكي وسليمان الطبال وصالح الدقاق وزفاف الزامر وتفاح الزامر ومن المغنيات حضرت عريب وبدعة وجاريتها وسراب وشارية وجواريها وندمان ونجلة وتركية وفريدة وعرفان[٩٨] وكان خلفاء بني العباس يبعثون الى مختلف البلدان من يشتري المغنيات وحصل ان اشتروا لهم جارية وصفت انها غاية في الحسن والجمال واهديت للمعتز الفاطمي بمصر فغنت له ولجلساءه فأطربتهم ولم يزيدهم طربا حتى افرط الامير من سماع غناءها فقال لها تمني ماشئتي فلك منال فقالت : اتمنى ان اغني في بغداد فلم يجد الامير بدا من الوفاء لها وارسلها الى بغداد وبقي ذاكرا لها واجما عليها[٩٩].وهذا ما يدل على ازدهار الطرب في بغداد ورواجه للحد الذي جعل الغناء فيها غاية طموح المطربين .

٢ – مواكب الخلفاء العباسيين

اخذ الخلفاء العباسيون بأبهة السلطة وترفها فكانت مواكبهم كبيرة وتؤثر في النفوس هيبة وعظمة وعادة ما كان يرافق الخلفاء في هذه المواكب عددا كبيرا من الحرس ورجال الدولة كالوزراء والامراء والقادة العسكريين والى جنبهم العلماء والفقهاء وهؤلاء هم رفقة الخليفة حتى عندما كان يذهب للحج[١٠٠] وكان الهادي العباسي(١٦٩-١٧٠هـ) يميل الى الهيبة والجبروت بافراط فكان اذا ركب مشيت الرجال بين يديه باللسيوف المشهرة والاعمدة والقسي الموترة[١٠١]. ومما يذكر عن المبالغة في مواكب الخلفاء ان المأمون عندما اراد الزواج من السيدة بوران خرج بموكبه الى فم الصلح وكان موكبه غاية في العظمة والابهة اذ صحب من الغلمان الصغار ثلاثين الف وسبعة الاف جارية ، اما العسكر الذين كانوا برفقته فعددهم اربعة الاف فارس وثلاث مائة الف رجل[١٠٢] وكذلك عندما توج المعتصم بالخلافة عام (٢١٨ هـ) احتشد عامة الناس من اهالي سامراء لرؤية موكب المعتصم بالله(٢١٨-٢٢٧هـ) فأصطف الناس في موكب بدء من باب العامة والى قرية المطيرة ، حيث ضربت مواكب الجند في صفين من الخيل والرجال المدججة بالسلاح وانتشرت على جوانبهم الرايات على طول الطريق[١٠٣] وكانت النفقات العظيمة لهذه المواكب المترفة من بيت مال المسلمين مما يثقل كاهلها بمصروفات اضافية .

٣ - بناء القصور

شهد العصر العباسي ازدهارا حضاريا ويمكن ان نقول ان الدولة الاسلامية قد وصلت لمستوى من النضج المالي مما دفع الخلفاء الى البحث عن وسائل الترف والراحة ومن الطبيعي ان يحذوا في هذا الامر كسائر الملوك في انشاء قصور تليق بمستوى ملكهم فعمدوا الى بناء القصور العظيمة وتأثيثها بالاثاث الفاخر حتى جعلوا منها معالما حضارية غاية في الابهة والترف والجمال . فقد كان الترف واضحا في قصور الخلفاء العباسيين كالذي بناه المنصور(١٣٧-١٥٨هـ) والذي يعرف بقصر الذهب الذي جلب اليه كل نفيس من الرخام والفرش والديباج والاعمدة المرصعة بالذهب والفضة ، وهكذا بنى الرشيد قصره ايضا على ضفاف نهر دجلة وبالغ في تجميله والبذل عليه وعلى ذات الشاكلة بنى المأمون قصره وانشأ الواثق(٢٥٥-٢٥٦هـ) في سامراء عدة قصور منها القصر الهاروني وقد اخذ الامراء والوزراء يقلدون الخلفاء في بناء القصور العظيمة كما فعل عبد الله بن علي عم المنصور الذي بنى له قصرا عند مصب دجلة وكان غاية في الجمال والدقة والسعة بحيث دخله المنصوور واربعة الاف رجل فاتسع لهم القصر . وعلى هذا النحو من ترف القصور كان مسير البرامكة فكان لجعفر البرمكي قصرا انفق عليه عشرون مليون درهم[١٠٤] ، واهتم المتوكل بترف القصور بل وبالغ باهتمامه بشكل كبير فبنى الكثير منها قصر : بركوارا والشاه ، والعروس ، والبركة ، والجوسق والمختار والجعفري والغريب والبديع والصبيح والمليح والسندان والقصر والجامع والقلاية والبرج وقصر المتوكلية والبهو واللؤلؤة وكان مقدار ما انفق عليها مائتي الف الف واربعة وسبعين الف درهم ومن العين مائة الف دينار[١٠٥].

٤ – ترف الطعام والشراب

ان افضل ما سجل لنا التاريخ من مظاهر الترف والابهة في قصور الخلفاء العباسيين هو فيما يتعلق بالطعام وكان ذلك في سيرة هارون الرشيد فيذكر ان الطهاة كانوا يطهون له ثلاثين لونا في اليوم ، وكان ينفق على طعامه عشرة الاف درهم يوميا[١٠٦].وهذا ما اعتاد عليه الخلفاء العباسيون في موائد الطعام الفاخرة فيذكر ان المنصور قد سبق الرشيد بالاهتمام بهذا الجانب فكان يأكل الطعام الى حد الاضرار بصحته[١٠٧]. اما المأمون فقد بلغت نفقته على الطعام ستة الاف دينار في اليوم وفي ايام المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ) توسع

الانفاق على الطعام الى الحد الذي اخل في ميزانية الخلافة من شدة الترف والبذخ وتبذير الاموال الطائلة[١٠٨].وفي الوقت الذي بالغ في الانفاق على الطعام والاسراف في تناوله فأنهم توجهوا الى شرب الخمر بذات الطريقة دون العبئ بحرمة هذا الامر حتى ظهرت في العصر العباسي حانات معروفة في بغداد منها حانة طبزناباد وحانة قرطبيل وحانة الشط[١٠٩] فقد عرف عن المتوكل انه كان يأمر الناس بالشرب ويعاقر الخمر[١١٠] وكان المقتدر كثير الشرب والارتماء بأحضان الجواري[١١١].

٥ – الملابس والطيب

كان الاهتمام بالملابس والتطيب احد مظاهر ترف الخلفاء العباسيين ومن سبقهم من الامويين ولعلي استشهد برواية عن الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ) الذي يعتبر اكثرهم اعتدالا فيذكر انه كان يرفل باثواب الترف وكان يلبس الثوب باربعمائة دينار ويقول ما اخشنه وكان الناس يدفعون دراهما كثيرة لغاسل الثياب حتى يغسل ثيابهم في اثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب فيه وكان عمر ينتعل نعلا شراكه فضة[١١٢].ثم سرى هذا النوع من الترف والتجمل والتطيب بالخصوص الى نساء وجواري الخلفاء ومواليهم . فزبيدة زوجة الرشيد تفننت في اتخاذ النعل المرصعة بالذهب وكانت تسرف في شراء الملابس وتزيينها حتى اتخذت ثوبا من الوشي الرفيع يزيد ثمنه على الف دينار[١١٣].

٦ – الخدم والجواري

اتخذ الخلفاء العباسيون اعدادا مذهلة من الخدم والجواري وهذا مايجعلنا لاعتبارهم مترفين للمبالغة فيما لديهم من خدم فيذكر ان المقتدر اتخذ من الخدم والجواري والغلمان اعدادا اسطورية تعد بالالاف وخير شاهد على ذلك عندما جاءه رسول ملك الروم حاملا معه رسالة القيصر اليه امر الخليفة ان يطاف بهذا الرسول بدار الخلافة فكان المستقبلين من الخدم كما يصفهم الخطيب البغدادي ، سبعة الاف خادم منهم اربعة الاف بيض وثلاثة الاف اسود وعدد الحجاب سبعمائة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم اربعة الاف غلام[١١٤].

واما بالنسبة للجواري فأن للخلفاء العباسيين افواجا منها فيذكر الخطيب البغدادي ان في مجلس المأمون عشرون جارية عشرة على يمينه وعشرة على يساره[١١٥]. والمهم

بالامر ان قصور هؤلاء الخلفاء ترحب بالعبد الكفء والقينة الجميلة العاهرة ولذا عمد بعض الاباء الى تربية اولادهم وبناتهم وتدريبهم على الحرف التي تعجب اصحاب القصور من بني العباس كتدريبهم على الموسيقى والغناء والرقص وثم يعرض هؤلاء للبيع على انهم ارقاء ورقيقات وقد وصل كثير من هؤلاء الى القصور بهذه الطريقة فان كثير من الفتيات كن يأتين مختارات لتمتعهن بحياة الترف والنعيم في بيوت الخلفاء والامراء .

وان المبالغة في اعداد الخدم كانت شائعة في قصور الخلفاء منذ العهد الاموي حتى ان عمر بن عبد العزيز حاول ان يعالجها فيذكر انه لما ولي الخلافة جمع الجواري وقال لهن : انه قد نزل به امر شغلني عنكن فمن اختارت منكن العتق اعتقها ومن امسكت لم يكن لها علي شئ فبكين بكاء شديد(١١٦). ومما يروى في هذا الشأن ان المتوكل انفق ملايين الدنانير على الجواري اللاتي جلبن من مختلف انحاء البلاد حتى روى المؤرخون ان له اربعة الاف جارية وطأهن جميعا (١١٧).

٧ – الحفلات الخاصة

كانت غاية الترف عند خلفاء بني العباس في حفلاتهم الخاصة في مناسبات الزواج او ختان اولادهم او البيعة لاولادهم . فتلك المناسبات كانت غاية في البذخ والاسراف في انفاق الاموال والمجوهرات والطعام فكان زواج الخليفة هارون الرشيد من ابنة عمه زبيدة ضرب فيها المثل ترفا اذ اقام الخليفة المهدي في حفلة زواج ولده هذا وليمة لم يسبق ان اعد مثلها فقد وهب للناس اواني الذهب مملوءة بالفضة واواني الفضة مملوءة بالذهب والمسك والعنبر كما انفق هارون من ماله خمسين الف درهم وانفقت زبيدة الاموال باسراف فيذكر انها اشترت غلاما لعبد الله بن موسى يجيد العزف على العود بثلثمائة درهم وامرت ان يتخذ لوصيفاتتها من الدر المثقوب ثم ازدادت شغفا بالدر حتى اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر واشترت مسبحة من الياقوت رمانية كالبندق بخمسين الف دينار(١١٨).

والى جانب هذه الحفلة كان عرس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل فكانت النفقة عليه امرا عظيما وقد بلغت نفقة العرس مابين خمسة وثلاثين الف الف الى سبعة وثلاثين الف الف وكان مهر بوران مائة الف دينار وخمسة الاف درهم واوقد بين يديها

تلك الليلة ثلاث شمعات من العنبر ويقال ان المأمون افترش حصير من الذهب ليلتها[١١٩].

ومن المبالغة والافراط في الانفاق على تلك الحفلة ان سميت (دعوة الاسلام) وجاءت بعدها دعوة المتوكل عند ختان اولاده من حيث كثرة النفقة والمبالغة في مظاهر الترف والتبذير في الاموال حيث كانت الدنانير والدراهم تنقل بالغرائر وامر الخليفة يصبها في وسط المجلس فبلغت من الكثرة ان حالت دون رؤية بعضهم بعضا كما انفق اموالا مما تبهر العقول في الاحتفال الذي اقيم بمناسبة البيعة لاولاده والذي يذكر انه كان غاية في الابهة [١٢٠].

الخاتمة

بعد التتبع للتطور التاريخي للترف عند السلطة الاسلامية توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها :

١ – ان ظاهرة الترف لها جذور تاريخية عند العرب قبل الاسلام فليس من الغريب ان ترى الخليفة عثمان يفتن بمظاهر الترف سيما وانه ليس بالبعيد كثيرا عن تلك الفترة.

٢ – رفض الشريعة الاسلامية لظاهرة الترف وحذرت منها لما يرافقه من مفاسد للفرد والمجتمع وضياع للمال العام وحقوق عامة المسلمين .

٣ – يعد الضعف الديني عند الخلفاء ممن فتنوا بمظاهر الترف هو السبب الرئيسي لوقوعه بهذه المفسدة والتوجه نحو ترف القصور والشراب والطعام والحفلات والابهة .

٤ – ان تحول الخلافة الاسلامية الى ملك اسهم في اسرافهم في مظاهر الترف وذلك تقليدا لما سواهم من الملوك .

٥ – ان تعاظم ايرادات الدولة نتيجة حركة الفتوحات الاسلامية التي ادت بالتالي الى غنى الدولة وكان الاخير عادة ما يورث الترف والبطر.

٦ – كان اهتمام الخلفاء المترفين بمظاهر الترف يفوق اهتمامهم بشؤون الرعية وتلبية حاجات المسلمين .

٧ – تفرد الخلفاء وزوجاتهم وذويهم وحاشيتهم في التحكم ببيت مال المسلمين وتسخيره لتلبية متطلبات ترفهم اضافة الى اكتناز الثروات اعتمادا عليه مما ارهق ميزانية الدولة بشكل كبير .

٨ – خروج طائفة المترفين من الخلفاء عن الاسلام الحق ومنهج الرسول (ﷺ) في الميل الى الزهد والتواضع .

٩ – ان الترف مفسدة عظيمة ارتكبها الخلفاء المترفون كان من نتائجها ضعف الدولة الاسلامية وانحلالها .

١٠ – ان يبني الخلفاء لمظاهر الترف اسهم في تكوين الطبقية في المجتمع الاسلامي متمثلة بطبقة المترفين ازاء طبقة المستضعفين والفقراء والمحرومين .

هوامش ومصادره

(١) الزبيدي ، محب الدين ابي فيض (ت:٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) ، تاج العروس ، تحقيق : (علي شيري)، دار الفكر ، (بيروت – ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ، ج١٢، ص١٠٠ ؛ ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م) ، لسان العرب ، نشر ادب الحوزة ، (قم – ١٤٠٥ هـ)، ج٩ ، ١٧ .

(٢) الخليل بن احمد (ت:١٧٥هـ / ٧٩١ م) ، كتاب العين ، تحقيق(مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي) ، ط٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، (د.م – ١٤١٠م)، ج٨ ، ص ١١٤ .

(٣) سورة هود ، جزء من اية ١١٦ .

(٤) الالوسي ، شهاب الدين (ت: ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) ، تفسير الالوسي ، تحقيق : (علي عبد الباري) ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥ هـ)، ج١٢ ، ص ١٦٢ .

(٥) الطبرسي ، امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م) تفسير مجمع البيان ، تحقيق (لجنة من العلماء)، ط١، مؤسسة الاعلمي ،(بيروت – ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م) ، ج٩، ص٣٦٧ .

(٦) الخضيري ، عبد الله ، الترف اسبابه وآثاره ومظاهره وبدائله دراسة قرآنية موضوعية ، مجلة القراء والمعرفة ، جامعة عين الشمس، العدد١٠٤ ، (مصر – ٢٠١٠ م) ، ص٢٠٢ .

(٧) زيارة ، نادر فرج ، الترف في المجتمع الاندلسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، كلية الاداب – جامعة غزة ، (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م)،ص٣٧ .

(٨) صالح ، مريم ، نظرة القرآن الكريم الى الترف والمترفين ،رسالة ما جستير غير منشورة ، جامعة ام القرى ،(مكة – ١٩٨٧ م)، ص ٤٥٠ .

(٩) الكنزواني ، مهند عبد الرضا حمدان ، مصادر ومظاهر الترف واشهر مترفي العرب قبل الاسلام (دراسة تاريخية) ، بحث منشور في مجلة ميسان للدراسات الاكاديمية ، العدد ٣٢ ، (العراق – ٢٠١٧ م) ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(١٠) القرطبي ، ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت: ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢ م) تفسير الطبري ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م) ، ج١٦ ، ص٢٧ .

(١١) الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت:٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢ م) ، الصحاح ، تحقيق(احمد عبد الغفور العطار) ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ج١، ص٤١٨ .

(١٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص ١٨٠٦ .

(١٣) سورة هود ، جزء من الاية :١١٦ .

(١٤) سورة الانعام ، اية ١٢٣ .

(١٥) الشنقيطي ، محمد المختار (ت: ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م) ، اضواء البيان ، تحقيق(مكتب البحوث والدراسات)، دار الفكر ، (بيروت – ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م)، ج١ ، ص٤٩٢ .

(١٦) سورة الاسراء ، اية ١٦ .

(١٧) سورة سبأ ، اية ٣٤ .

(١٨) سورة الواقعة ، اية ٤٥ .

(١٩) سورة الواقعة ، اية ٤٦ .

(٢٠) الطبرسي ، تفسير مجمع البيان ، ج٩ ، ص ٣٦٨ .

(٢١) سورة هود ، جزء من اية ١١٦ .

(٢٢) سورة الاسراء ، اية ٢٩ .

(٢٣) سورة الفرقان ، اية ٦٧ .

(٢٤) سورة الانعام ، اية ١٤١ .

(٢٥) سورة الاسراء ، ايه ٢٦ – ٢٧ .

(٢٦) سورة الانعام ، جزء من الاية ١٤١ .

(٢٧) الشيرازي ، ناصر مكارم ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، (د.م – د.ت) ، ج٥ ، ص٢٤ – ٢٦ .
(٢٨) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، الجامع الصغير ، ط١، دار الفكر ، (بيروت – ١٤٠١ هـ) ، ج١، ص٣٤٧ .
(٢٩) سورة الشورى ، اية ٢٧ .
(٣٠) الطبرسي ، ابي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ، تفسير جوامع الجامع ، تحقيق (مؤسسة النشر الاسلامي)، (قم – ١٤١٨ م)، ج٣، ص٢٨٥ – ٢٨٦ .
(٣١) السيوطي ، جلال الدين (ت: ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ، الدر المنثور ، دار المعرفة ، (بيروت – د.ت)، ج٦، ص٨ .
(٣٢) الحلي ، ابي منصور بن يوسف (ت:٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م) ، نهاية الاحكام في معرفة الاحكام ، تحقيق (مهدي الرجائي) ، ط٢ ، مؤسسة اسماعيليان ، (قم -١٤١٠ هـ) ، ج٢، ص٣٤٥ – ٣٤٦ .
(٣٣) القرشي ، باقر شريف ، حياة الامام الرضا (عليه السلام) ، انتشارات سعيد بن جبير ، (قم – ١٣٧٢ ش)، ج٢، ص١٩ .
(٣٤) الآبي ، الوزير الكاتب ابي سعيد منصور بن الحسين (ت: ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) ، من نثر الدر ، تقديم (مظهر الحجي) ، مطبعة وزارة الثقافة ، (دمشق – ١٩٩٧م) ، ج٣ ، ص٢٧٥ .
(٣٥) ابن ابي الحديد ، محمد ابو الفضل ابراهيم (ت:٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق (محمد ابو الفضل ابراهيم) ، مؤسسة اسماعيليان ، (قم – د.ت) ، ج١٥ ، ص٨٧ .
(٣٦) المنتظري ، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية ، ط١ ، منشورات المركز العالمي للدراسات الاسلامية ، (قم – ١٤٠٨ هـ)، ج١، ص٣٣٠ .
(٣٧) الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت:٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م) ، تذكرة الفقهاء، تحقيق (مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث)، ط١، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث ، (قم – ١٤١٤ هـ) ، ج١٢ ، ص١٩٢ .

(٣٨) محمد جواد (ت:١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م) ، الشيعة في الميزان ، ط٤ ، دار التعارف ، (بيروت – ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) ، ص٣٧٩ .

(٣٩) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ، ص٢٥٧ – ٢٥٩.

(٤٠) المصدر نفسه ، ج١، ص١٧٥ – ١٧٧ .

(٤١) المصدر نفسه ، ج١، ص١٦٨ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ج١، ص١٢٢ .

(٤٣) الفضيلي ، عبد الهادي ، خلاصة علم الكلام ، (د.م – د.ت) ، ص١٨٣ .

(٤٤) القاسم ، اسعد وحيد ، ازمة الخلافة والامامة وآثارها المعاصرة ، ط١ ، الغدير للطباعة والنشر ، (بيروت – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ، ٢٠٧ .

(٤٥) العاملي ، نظرات الى المرجعية ، ط١ ، دار السيرة ، (بيروت – د.ت) ، ص٩٦ .

(٤٦) ابن عبد الحكم ، ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م)، فتوح مصر واخبارها ، تحقيق (عبد المنعم عامر) ، مطبعة لجنة البيان ، (القاهرة – ١٩٦١ م) ، ص١٤٨ – ١٤٩ .

(٤٧) الكثيري ، محمد ، السلفية بين اهل السنة والامامية ، ط١ ، الغدير للطباعة والنشر ، (بيروت – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ، ص٢٤ – ٢٥ .

(٤٨) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت – ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ، ج٢ ، ص٣٨٠ .

(٤٩) الطبري ، ابوجعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، تاريخ الامم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، تحقيق(لجنة من العلماء)، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – ١٨٧٩ م) ، ج٣، ص٩٤ .

(٥٠) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٣٧ .

(٥١) الغفاري ، عبد الرسول ، الكليني والكافي، ط١ ، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم – ١٤١٦ هـ)، ص٢٢٣ – ٢٢٥ .

(٥٢) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، منشورات الشريف الرضي، (ايران – ١٣٨٠ هـ) ، ج٥ ، ص٤٨ .

(٥٣) ديوانا عروة بن الورد والسمؤال ، شرح(اكرم البستاني) ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ص٢٤ .

(٥٤) الفتال النيسابوري ، محمد (ت: ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) ، روض الواعظين، منشورات الشريف الرضي ، (قم – د.ت) ، ص٨٦ .

(٥٥) سورة قريش ، اية ١ ،٢ ،٣ ، ٤ .

(٥٦) الكنزاوي ، مصادر ومظاهر الترف واشهر مترفي العرب قبل الاسلام دراسة تاريخية ، العدد ٣٢ ، ص٤٩ – ٥١ .

(٥٧) للمزيد ينظر عن ترف اهل مكة : عبد الرحمن ، هاشم يونس ، مظاهر الابهة والترف في الحياة المكية قبل الاسلام ، بحث منشور في مجلة كلية التربية الاساسية ،(العراق ٢٠١١- م)، المجلد ١٠ – العدد ٤ ، ص٢٤٧ – ٢٤٩ .

(٥٨) ابن حجر ، احمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، الاصابة في تميز الصحابة ، تحقيق(عادل احمد عبد الموجود و علي محمد عوض) ،ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٥ هـ) ، ج١، ص٢٩ .

(٥٩) الحميري ، ابن هشام (ت:٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م) ، السيرة النبوية ، تحقيق(محمد محي الدين عبد الحميد) ، مكتبة محمد علي صبيح واولاده ، (القاهرة – ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م) ، ج٢، ص٣٤٤ .

(٦٠) اليعقوبي ، احمد (٨٩٧ هـ / ١٤٩١م) ، مشاكلة الناس لزمانهم وما غلب عليهم في كل عصر ، تحقيق (مضيوف الفرا)، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، (قطر – ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ، السنة الخامسة العدد ٥ ، ص١٩٥ – ١٩٧ .

(٦١) المتقي الهندي ، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت: ٩٧٥هـ/١٥٦٧ م)، كنز العمال في سنن الافعال والاقوال ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م) ، ج٥ ، ص٦٩٦ .

(٦٢) اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمائهم وما غلب عليهم في كل عصر ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٦٣) التاريخ ، ج٣ ، ص ٤٢٩ .

(٦٤) القرشي ، باقر شريف ، حياة الامام الحسين(عليه السلام) ، ط١، مطبعة الاداب ، (النجف الاشرف – ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) ، ج١ ، ص٣٣٨ – ٣٦٤ .

(٦٥) الريشهري ، محمد ، موسوعة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، تحقيق (محمد كاظم الطباطبائي و محمود الطباطبائي) ، ط٢ ، دار الحديث ، (قم – ١٤٢٥ هـ) ج٣، ص١٤٣ .

(٦٦) القرشي ، حياة الامام الحسين (عليه السلام) ، ج١ ، ص٣٩٢ .

(٦٧) مشاكلة الناس لزمانهم وما غلب عليهم في كل عصر ، ص١٩٧ .

(٦٨) الكجوري ، محمد باقر(ت: ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩م) ، الخصائص الفاطمية ، تحقيق وترجمة (علي جمال اشرف) ، ط١ ، منشورات الشريف الرضي ، (قم – ١٣٨٠ ش) ،ج٢ ، ص٤١٧ .

(٦٩) الكليني ، ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت: ٣٢٩ هـ/ ٨٤٣ م) ، الكافي ، تحقيق (علي اكبر غفاري)، ط٥ ، دار الكتب الاسلامية ، (طهران – ١٣٦٣ ش) ، ج١ ، ص٤١١ .

(٧٠) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٧١ .

(٧١) زيارة ، الترف في المجتمع الاسلامي الاندلسي ، ص٢٨ .

(٧٢) ابن حنبل ، احمد (ت: ٢٤١ هـ/ ٨٥٥م) ، مسند احمد ، دار صادر ، (بيروت – د.ت) ، ج١ ، ص٦٢.

(٧٣) شمس الدين ، محمد مهدي ، انصار الحسين (عليه السلام) ، ط٢ ، الدار الاسلامية ، (د. م – ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ، ص٢١٦ .

(٧٤) القرشي ، حياة الامام الحسين (عليه السلام) ، ص٣٦٤ .

(٧٥) الجلالي ، محمد رضا ، جهاد الامام السجاد (عليه السلام) ، ط١ ، دار الحديث ، (د.م – ١٤١٨ م) ، ص ١٥٨ –١٦٠ .

(٧٦) تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢٦١ .

(٧٧) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، انساب الاشراف ، تحقيق(سهيل زكار ورياض زكار)، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٩٦م)، ج٤ ، ص٩٨ .

(٧٨) ابن قتيبة ، ابي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، (ت:٢٧٦ هـ/ ٨٢٨ م)، الامامة والسياسة ، تحقيق (طه الزيني) ، دار الاندلس ، (القاهره – د.ت) ، ج١، ص٢١٣ .

(٧٩) ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت:٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م) ، البداية والنهاية ، تحقيق (عبد الله بن عبد الحسن التركي) ، دار الهجرة، (القاهرة – ١٩٩٨ م)، ج١١، ص٣٣٠ .

(٨٠) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن حسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت:٥٧١ هـ/ ١١٧٦ م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق (علي شيري) ، دار الفكر العربي ، (بيروت – ١٩٩٤ م) ، ج١٤ ، ص١٣٥ .

(٨١) عمر بن بحر بن محبوب (ت: ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م) ، التاج في اخلاق الملوك، تحقيق (فوزي عطوي) ، الشركة اللبنانية للكتاب ، (بيروت – ١٩٧٠ م) ، ص٣٣.

(٨٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٥٥٦ .

(٨٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٤ ، ص٣٣ .

(٨٤) الطبري ، التاريخ ، ج٥ ، ص٤٩٥ .

(٨٥) ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم (ت:٣٥٦ هـ/ ٩٦٦ م)، الاغاني ، تحقيق (عبد الرحيم محمود)، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة – ١٩٥٢م)، ج٨، ص٣١٩ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٤١٨ .

(٨٧) مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، تحقيق(عبد العزيز الدوري و عبد الجبار المطلبي) ، دار الطليعة ، (بيروت – د.ت) ، ص١٥٧ .

(٨٨) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٩ ، ص١٦٣ .

(٨٩) الزمخشري ، ابو القاسم محمد (ت: ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م) ، ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، تحقيق(عبد الامير مهنا) ، مؤسسة الاعلمي ، (بيروت – ١٩٩٢م) ، ج٥ ، ص٢٤٤ .

(٩٠) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج٦، ص٩٦ .

(٩١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٤٦٢ .

(٩٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٥، ص٦ .

(٩٣) ربيع الابرار ، ج٤ ، ص٩١ .

(٩٤) القرشي ، حياة الامام الرضا (عليه السلام)، ج٢ ، ١٩١ – ١٩٢ .
(٩٥) تاريخ ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢٥٧ – ٢٥٩ .
(٩٦) الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي ، الطبعة الاولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت – ٢٠٠٦ م)، ص١٣٥ .
(٩٧) الكوان ، بسمان نوري ، صورة حضارية من مجالس الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ) ، مجلة اداب الفراهيدي ، العدد ١٧ / ٢٠١٣ م ، ٢٧٠ – ٢٧١.
(٩٨) الطباطبائي ، علي (ت:١٢٣١هـ/ ١٨١٥ م)، رياض المسائل ، تحقيق(مؤسسة النشر الاسلامي) ، ط١، (قم – ١٤١٢ هـ)، ص١٥ .
(٩٩) متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله للعربية (محمد عبد الهادي ابو ريده) ، اعد فهارسه (رفعت البدراوي) ، ط٤ ، مكتبة الخانجي، (القاهرة – ١٩٦٧ م)، ج٢ ، ص٢٤٥ .
(١٠٠) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢، ص٢٠٨ .
(١٠١) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص١٣٥ .
(١٠٢) القرشي ، حياة الامام الرضا (عليه السلام) ، ج٢، ص١٩٢ .
(١٠٣) الصابي ، ابو الحسن هلال بن المحسن (ت:٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م)، رسوم دار الخلافة ، تحقيق(ميخائيل عواد)، مطبعة العاني ، (بغداد – ١٩٦٤م)، ص٢٥ .
(١٠٤) الغفاري ، الكليني والكافي ، ص٢٢٦- ٢٢٧ .
(١٠٥) الطباطبائي ، رياض المسائل ، ج٢ ، ص١٧ .
(١٠٦) الغفاري ، الكافي والكليني ، ص٢٢٧ .
(١٠٧) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت:٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق(محمد محي الدين عبد الحميد) ، ط٢ ، المكتبة الاسلامية ، (بيروت – ١٩٤٨ م) ، ج٣ ، ص٣٠٩ – ٣٥٥ .
(١٠٨) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط١ ، دار المعارف ، (حيدر آباد – ١٩٣٨ هـ / ١٩٤٠ م) ، ج٦ ، ص ٦٨ –٦٩.
(١٠٩) الغفاري ، الكليني والكافي ، ص٢٢٩ .

(١١٠) الطباطبائي ، رياض المسائل ، ج٢ ، ص١٣ .
(١١١) الغفاري ، الكليني والكافي ، ص٢٤٧ .
(١١٢) الجلالي ، جهاد الامام السجاد (عليه السلام) ، ص٢١٦ – ٢١٧
(١١٣) الغفاري ، الكليني والكافي ، ص٢٢٧ .
(١١٤) الخطيب البغدادي ، ابي بكر احمد بن علي (ت:٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، تحقيق(مصطفى عبد القادر عطا) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) ، ج١، ص١١٧ .
(١١٥) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٤١ .
(١١٦) الشلبي ، احمد ، مقارنة الاديان ، الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣، (القاهرة – ١٩٧٢ م) ، ص٢٤٩ – ٢٥٠ .
(١١٧) الشاكري ، حسين ، موسوعة المصطفى والعترة ، ط١، نشر الهادي ، (قم – ١٤١٧ هـ) ، ج١٣، ص٣٠٣ – ٣٠٤ .
(١١٨) حاجي ، حسين علاوي ، البذخ والاسراف في حفلات زواج الخلفاء الرشيد والمأمون والمعتضد انموذجا ، بحث منشور في مجلة اكليل ، المجلد ١ ، العدد الخاص بالمؤتمر ، ٢٠٢١ م ، ص٤٠٨ – ٤٠٩ .
(١١٩) الطباطبائي ، رياض المسائل ، ص ١٥ – ١٨ .
(١٢٠) الشاكري ، موسوعة المصطفى والعترة ، ج١٣ ، ص٣٠٤ .